الفصل السادس

مناقشة ما ورد في الحلقة الخامسة عن الخروج على الحاكم

١- تكلم الكاتب في بداية حلقته عن موقف السلف من حكام الجور، وهي مسألة لا أرى بحثها، لأن الجماعات الجاهدة ليست معنية بها في هذا العصر، فإن الجماعات الجاهدة تتصدى لعدوين الأول التحالف الصليبي الصهيوني والثاني الحكام العملاء الفاسدين في بلاد المسلمين، وترى ردة هؤلاء الحكام بالأدلة من الكتاب والسنة والإجماع وفتاوى العلماء المتقدمين والمعاصرين لسببين رئيسيين[1]: أولهما حكمهم بغير الشريعة وبناء نظامهم وقوانينهم ودساتيرهم على ذلك، وثانيهما: موالاتهم لأعداء الأمة من الصليبيين واليهود على المسلمين.

٢- ثم تطرق الكاتب بعد ذلك (لكفر السلطان والخروج عليه)، وتكلم عن المفاسد التي أحدثتها الجماعات الإسلامية بصدامها مع الحكومات من أجل ذلك، وطرح حلولاً ليس منها الإعداد ولا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا حتى الاحتجاج السلمي كالاجتماعات والإضرابات والاعتصامات والندوات والمؤتمرات، حرصاً منه على (عدم تعكير صفو الأمن). وقد رددت عليه بما أراه كافياً في الفصل الرابع.

ولكن الملاحظ هنا أن الكاتب بدأ يتخبط في شروطه، فقد اشترط للجهاد شروطاً يسقط الجهاد بعدمها، ومنها دار الهجرة والنصرة التي علقت عليها وبينت بطلان اشتراطه لها في الفصل الرابع، إلا أنه في هذا الفصل بدأ يقدم بديلين لها، فقال: "فالجهاد لا بد له من مقدمات ومقومات تعتبر من شروط وجوبه فإذا انعدمت سقط الوجوب، ومنها دار الهجرة والنصرة (كالمدينة) أو دار الأمن (كالحبشة) أو القاعدة الآمنة (كأبي بصير)". وكما ذكرت في الفصل الرابع، فالكاتب يخرج علينا بأمور لم يسبقه إليها أحد.

[1] وإن لم يمنع ذلك من وجود أسباب أخرى على اختلاف أحوالهم.

ثم إن كلامه مردود عليه، فإذا كانت القاعدة الآمنة من شروط الجهاد، فهي متوفرة بفضل الله في العديد من ميادين الجهاد، وعلى مساحات شاسعة.

٣- ثم تكلم الكاتب عن المحظورات الشرعية التي وقع فيها بعض من حاولوا الالتفاف على نقص مقومات نجاح الجهاد، فذكر ستة محظورات، أجل الكلام عن اثنين منها، ثم ذكر الثالث وهو (استحلال أموال لا تحل بالسطو والخطف بدعوى تمويل الجهاد)، وقد رددت عليه -بفضل الله- في الفصل الرابع، ثم ذكر الرابع منها وهو "العجز عن تأمين ذراري المسلمين بما يعرضهم للتلف والفتن"، وهو موضوع شفعه الكاتب في كثير من المواضع بالسب والشتم، ولكني أقول: هل لما كانت نساء المسلمين -ومنهن أمهات المؤمنين- يسقين ويداوين الجرحى في أرض المعركة كان هذا الشرط (لوجوب الجهاد) متوفراً، وهل لما جهر النبي صلى الله عليه وسلم بدعوته في مكة، ونال الأذى نساء المسلمين كالسيدة سمية رضي الله عنها، كان النبي صلى الله عليه وسلم مضيعاً لها؟ نعم يسعى المسلمون لتأمين ذراريهم، ولكن لا يعطلون الجهاد ويقيمون بجانبهم.

٤- ثم تكلم الكاتب عن المحظور الخامس، وهو: "تلقي أموال والاستعانة بأنظمة حكم في دول أخرى ليست بأفضل من بلدانهم لقتال أهل بلدهم بما أوقعهم في فخ العمالة وحروب الوكالة، فيبدأ شأنه مجاهداً ويصير عميلاً مرتزقاً".

وأعلق فأقول:

أ- الكاتب يدعو للتدقيق والتحقيق، وأنا أود أن أنبهه أن يدقق في أقواله، لأن الجاهدين لا يقاتلون أهل بلدهم، ولكنهم يقاتلون من يقاتل أهل بلدهم، ويعتدي على أهل بلدهم، وينتهك حرمات أهل بلدهم. هل سمعت عن بلد اسمه أمريكا؟ هل علمت بما جرى في سيناء؟ أقدم لك نموذجاً بسيطاً. شهادة أحد ضحايا أصدقائك الذين يدافعون عن أهالي مصر:

"١٤٠ سيدة تم القبض عليهن كرهائن.

.....

النقاب ينزع من على وجوه النساء في الشوارع.. لم تعد هناك نساء يسرن في الشارع وحدهن.. الرجال حلقوا لحاهم خوفاً من الاشتباه.

.....

أخدوني على أمن الدولة في العريش.. شتمني بأمي.. قال لي يا ابن القحبة.. اتجننت.. صرخت قلت لهم أمي جزمتها أشرف منكم كلكم.. ضربوني بالعصاية عشر ضربات على راسي.. لقيت جوه ٢٠٠ أو ٣٠٠ بني آدم.. رجاله بتصرخ وبنات بنوت بتصرخ.

.....

في أمن الدولة في العريش كان الصريخ والصوات من كل مكان.. رجاله وحريم.. شتموني رديت عليهم.. قعدت هناك ١٠ دقايق بس شفت فيهم الويل.. شفت التعذيب على ناس تانيه بس.. شفت بعنيه رجاله بزازهم سايحه.. كهربوهم في بزازهم وفي حتت تانيه من جسمهم.

.....

في الترحيلة كان فيه 15 ست نزلوا في القناطر غالبا، قرايب الحاج فليفل (من قرية الميدان عند مدخل العريش متهم في أحداث طابا) أخدوا كل القرية ستات ورجاله وأطفال (5 أطفال).. مرات ابن أخويا سلمت نفسها عشان يخرجوا أخوها الصغير.. كانوا واخدينه بدل أخوه الكبير.. قعدت هي وهو خمس أيام وبعدين خرجوها. (تم القبض على سبعة أشخاص من هذه العائلة من بينهم سيدة).

.....

جم وش الصبح.. بالرشاشات والمسدسات.. فتشوا البيت والدواليب.. سألوا عن (م) ومراته.. قلنا لهم ما شفناهمش من يوم ما فطروا معانا في أول يوم رمضان.. أخدوا الولد الصغير لحد ما (م) يسلم نفسه.. وأخدوا أخوه..

الناس خايفه.. البنت راحت سلمت نفسها عشان يسيبوا أخوها الصغير.. خلوهم خمس أيام عندهم وبعدين خرجوهم.. كانت حامل في أربع شهور أو تلات شهور.. بعد ما خرجت رمت حملها.. حتة لحمة صغيرة عمرها ييجي أربع شهور.. العيال بقت بتصرخ والنسوان خايفه.. حتى الرجاله حلقوا دقونهم.. كانوا يمسكوا الراجل من دقنه يشدوها يطلع الشعر في إيديهم ومعاه الدم عليه.. حسبي الله ونعم الوكيل.

.....

عشرين سنة واحنا تحت احتلال اليهود ما حدش عمل فينا كده.

.....

احنا نتحمل كل ده ليه من الحكومة؟ .. ده الاحتلال ما عملش فينا كده.. هو فيه إيه؟

.....

الستات كانوا محجوزين في مسجد أمن الدولة بالعريش، وكانوا بيضربوهم بالفلكة في المسجد.

.....

أخدوا بنات عمي ونسوان إخواتي الاتنين.

.....

أخويا راح سلم نفسه لما عرف إنهم هياخدوا أمه.

.....

البيوت ما بقاش فيها غير النسوان، وحتى النسوان بياخدوهم.. البنات بتمشي في الشارع يشدوا النقاب من على وشها، واللي ما ترضاش ياخدوها.. رعب.. وبيقولوا انهم بعد العيد هيكملوا تاني.

.....

كانوا عاوزين ياخدوا البنت (١٢ سنة).. هربت من البيت.. العريش كلها قعدت بره بيوتنا حوالي ١٣ يوم.

.....

أخدوا مرات حماده كانت حامل، لفوا بيها في العربية عشان تدل على أصحاب جوزها.. نزفت من كتر اللف في العربيات.. مرات اسماعيل كهربوها في صوابعها.. لما راحت البنت تسأل عن أخوها قال لها عدي جوه لحسن أطلع ميتين أمك.. وشتم سمر وقال لها يا بنت المرة الوسخة.. ومرات اسماعيل شد النقاب من على وشها.. وقت ما حجزوا مرات (ح) كان فيه ٤٥ ست فوق بعض، ولما يدخلوا الحمام يفوتوا على الرجاله، وكانت بتسمع صوت رجاله بيصرخوا.. وشافت اسماعيل متعلق عريان قدامها.

.....

الستات اللي اتعذبوا من البدو في الشيخ زويد كان معاهم واحدة والدة من تلات أيام.. ضربوها ونزفت، فراحت على المستشفى وعليها حراسة.

.....

فيه واحدة زميلتي في الشغل كانت في السوق.. قالوا لها اخلعي النقاب.. رفضت، ضربوها رصاصة في كتفها.. بقوا يقلعوا النسوان النقاب بالعافية، ويضربوهم بالشلاليت.. أنا شفت ده بعيني.. إن شغلي قريب من السوق وباشوف الستات لما ده حصل لهم.

.....

فيه شاب تاني فتشوه وأخدوا من جيبه المصحف.. سألوه إيه ده؟ قال كلام ربنا.. راحوا شتموه. قال بلاش عشان حرام في رمضان.. راحوا ضربينه.

.....

كان معايا في سيارة الترحيلات ابن عمي.. وكان فيه واحد تاني مطلوب القبض عليه لما ما لاقوهوش أخدوا بدل منه أبوه، وأخدوا مراته من العريش من عند أهلها واتنين من اخواته.. سلم نفسه فأفرجوا عن الستات.. كانوا ٢٠٠ سيدة.. أفرجوا عنهم قبلي بيوم.. جسمي تاعبني ونظري تعبان، كانوا راميينا في الرطوبة في الطرقة.. كنا مقرفصين.. حوالي ٤٠ واحد.. الستات كمان كانوا الأول في الطرقة.. قعدوا تقريبا من أسبوع لعشر أيام بعدين نقلوهم المسجد.. كان أغلبيتهم معاهم أطفال من عيال بترضع لحد ٦ سنين.

.....

سمعت ان الستات كمان اتكهربوا

.....

كل يوم يهجموا على البيت، وياخدوا ستات ورجاله.

.....

لحد النهارده عندهم.. (ف.س.ح.) راح سلم نفسه عشان كانوا أخدوا أمه واخواته الصغار.. أمه اتكهربت.

.....

شيوخ القبائل بيرهبوا الناس ويضغطوا عليهم يسلموا ولادهم بدل ما العيلة كلها تتعذب. وواحد منهم سلم اتنين من ولاده بنفسه.

.....

بعد مغادرتنا المنزل الثاني اتصلت الأسرة بالمحامين لتخبرها أن أمن الدولة جاءوا بسيارة نصف نقل، وطلبوا الأخ الوحيد المتبقي. ثار الأب، وقرر أن يسلم نفسه بدلاً منه، لكنهم أصروا على أخذ الشاب، الذي قرر أن يذهب معهم، لكي لا يعرض أمه ونساء المنزل للبهدله.

.....

بعد زيارتنا استدعوا الأخ الذي تقابلنا معه لمقابلة "الباشا"..قبل أن نغادر قابلنا المواطن الذي استدعوه لأمن الدولة لمقابلة الباشا بعد أن زرنا أسـرته!! سألناه إذا كان يمكن أن يهرب.

مش أهرب.. انا هأقعد في البيت مع أمي وإخـواتي.. عـاوزين ييجـوا ييجوا.. ما طلبوني قبل كده ورحت.. عاوزين إيه تاني.. المرة دي أنا عارف ايه اللي هيحصل.. انا مش سايب البيت إلا ميت أنا واللي فيه.. هو فاضـل إيه.. وأسيب النسوان لمين.. عشان يبهدلوهم.. ما بقاش فيه حاجة.. النـاس خايفة من بعض .. ما سابوش حاجة.

.....

رجال الشرطة يتوعدون الأهالي بأن ينتظروا ليشهدوا ما سوف يحدث بعد العيد.. (والله لنحرقها حرق.. لازم البلد دي تتربى)"[1].

هل سمعت يا صاحب الترشيد عن عماد الكبير؟ يا صاحب الترشيد إذا أردت أن تعرف من يقاتل أهل بلده ويبيعهم لأمريكا وينتهك حرماتهم.. ..فانظر حولك.

ب- ثم يتكلم الكاتب عن العمالة وحروب الوكالة، ويبدو أن الكاتب تختلط عليه المصطلحات، أيها الكاتب النحرير نحن لا نحارب بالوكالة، نحن - بفضل الله- نحارب أمريكا وجهاً لوجه. ألم يبلغك الخبر؟ اسأل من حولك. يخبروك عن العمالة وعمالة العمالة.

ج- وكنت أتمنى أن يرتفع الكاتب لمقام الترشيد فيكف عن التأثر بمصطلحات وأسلوب من حوله.

[1] تقرير زيارة تقصي حقائق قام با كل من: الجمعية المصرية لمناهضة التعذيب ومركز النديم للعلاج والتأهيل النفسي لضحايا التعذيب ومركز هشام مبارك للقانون في الفترة من ١٥ إلى ١٧ نوفمبر ٢٠٠٤.

٥- ثم تكلم الكاتب عن المحظور السادس وهو اللجوء السياسي، فقال: "اضطرار البعض إلى عمل لجوء سياسي لدى الدول الأجنبية (بلاد الكفار الأصليين) فيكون بذلك قد دخل تحت حكم الكفار وقوانينهم باختياره، في حين أن القوانين المخالفة للشريعة تجري عليه في بلده بغير اختياره..".

وهذه مغالطة واضحة من ناحيتين:

أ- الأولى أن الذي لجأ للجوء السياسي لم يرتكب محظوراً، وإنما فر من الهلاك والتلف على أيدي من ينشرون وثيقتك ويشرفون عليها.

ب- والثاني أنه لم يذهب إليها باختياره، بل ذهب مضطراً، ولذلك فتفرقتك بين القوانين المخالفة للشريعة في بلدك وفي بلاد الكفار الأصليين على أساس الاختيار وعدمه تفرقة غير صحيحة. ثم إن الماهدين قد دعوك لتقيم في الإمارة الإسلامية بعيداً عن أحكام الكفار والمرتدين، فأبيت، فلماذا تعيب على اللاجئين السياسيين أمراً قد اخترته؟

٦- ثم قال الكاتب: "وأنبه هنا على أن تقسيم الناس إلى مدنيين وعسكريين هو تقسيم محدث، ولكنا سوف نستعمله لشيوعه لتقريب الفهم في البنود التالية"، وهو أمر غير مقبول فقهاً، بل هو خطأ يتعمده الغربيون وأجهزة إعلامهم وعملائهم وعلماء السلطان للزعم بأن الماهدين لا يحترمون أحكام الشريعة، فلماذا يجاريهم الكاتب في مصطلحات هو نفسه يعتبرها خاطئة؟

٧- ثم تكلم الكاتب عن عمليات الجهاد في مصر، وتحدث عن عمليتي الهجوم على موكبي وزير الداخلية ورئيس الوزراء، وسأؤجل الحديث عن عمليات جماعة الجهاد في مصر إلى آخر هذ الباب إن شاء الله، حتى أنتهي من عرض أدلة مسائل مهمة مثل الأمان والتأشيرة وانتقاض العقود والحلفاء والتترس والخلاف حول ضمان المقتولين فيه، حتى يسهل على القارئ أن يستفيد من تلك الأدلة، وهو يقرأ عرضي لعمليات جماعة الجهاد إن شاء الله.

٨- ثم ذكر الكاتب في نهاية الحلقة تنبيهاً حول "الأسباب الشرعية والواقعية التي تدعو لعدم الصدام مع السلطات بمصر". أو إن شئت أن تترجمها بلغة المشرفين على إصدار الوثيقة لكانت "الأسباب التي تدعو لعدم تعكير صفو الأمن بمصر".

أ- وجاء فيها: "والرسول -صلى الله عليه وسلم- لم يجاهد ولم يفرضه الله عليه إلا بعد ما توفرت له مقومات الجهاد، وهي من شروط وجوبه..."، ثم بدأ يتكلم عن شروط وجوب للجهاد لم يسبقه إليها أحد من العلماء مثل:

(١) دار الهجرة والنصرة وقد رددت عليها سابقاً.

(٢) التكافؤ في العدد والعدة، وما أدري ماذا يقصد بهذا اللفظ المبهم (التكافؤ)، وليس من مهمتي أن أفسر مصطلحاته، ولكن على كل حال فلأتساءل؛ أهو التساوي في العدد والعدة أم النصف في العدد والعدة، أم تحصيل القوة اللازمة التي يغلب الظن على تحقيق النصر بها؟ وما تجدر ملاحظته أن المسلمين في معظم معاركهم الكبرى كانوا أقل عدداً وعدة من أعدائهم، وأنا أؤكد على توفر القدر اللازم من العدد والعدة، أما التكافؤ فما أدري ماذا يريد به؟ ومن أين أتى به؟

(٣) وتأمين ذراري المسلمين، والكاتب يكرر هذا الأمر كثيراً، ويضخمه، وقد رددت عليه آنفاً.

(٤) والنفقة اللازمة للجهاد متعذرة كما يقول، لقد ترك الكاتب الجاهدين منذ خمس عشرة سنة، فهل مات الجاهدون من الجوع بعد أن تركهم؟ أم تضاعف مجهودهم وعددهم وعدتهم ونكايتهم في العدو أضعافاً مضاعفة؟

(٥) والفئة التي يمكن التحيز لها، إذن فلا جهاد، ولينعم الكفار والمحتلون بأراضي المسلمين وثرواتهم، لأنه ليس للمسلمين اليوم فئة ينحازون لها، وهذه الشبهة شبيهة بالشبهة التي كان الكاتب يرد عليها قديماً؛ ألا جهاد بدون خليفة، وهنيئاً للأمريكان والانجليز بغياب الخليفة، وهنيئاً لهم بغياب الفئة التي يمكن التحيز لها.

(٦) وتميز الصفوف. إذن فهنيئاً للحكام المرتدين في بلادنا، وهنيئاً لعملاء الصليبيين محمود عباس والمالكي وكره زي وأحمدوف، فطالما كان الكفار يقاتلوننا بأبناء جلدتنا، فسنتورع ونترك الجهاد، وننصرف للاعتناء بالنساء والعيال، وهذا هو الخيار الشرعي في وثيقة الترشيد المرضي عنها.

ب- ثم أضاف الكاتب في تنبيهه بعد أن منع الجهاد ضد حسني مبارك، واعتبره غير جائز شرعاً، وهو ما يتمشى مع مذهبه القديم؛ أن جهاد علماء الحركات الإسلامية أولى من جهاد حكامهم، طرح الكاتب الخيارات الشرعية المسموح بها، أي التي لا (تعكر صفو الأمن)، وهي "كالدعوة والإصلاح ونحوها"، وقد فهمت الدعوة والإصلاح، ولكن لم أفهم "نحوها"، وهل هناك في الفقه أو في إرشاد الجاهدين للأساليب العملية لترشيد جهادهم "نحوها"؟

ج- وأنا أذكر القارئ بأن الحلول العملية التي طرحها الكاتب لا صلة لها بأي جهاد، بل لاصلة لها بأية مقاومة سلمية، وهو ما أشرت له في الملاحظة الأولى على منهج الوثيقة، وهو تعارض الاسم مع المضمون، فهي ليست وثيقة "ترشيد الجهاد"، ولكنها وثيقة تركيع أو تقييد أو توقيف الجهاد.

د- ثم لا صلة بالحلول العملية التي يطرحها الكاتب مع أي جهاد داخل أو خارج مصر، مع أن عنواننا هو "ترشيد الجهاد في بمصر والعالم"، أي أن الوثيقة بمفاهيمها الاستسلامية التعجيزية مطلوب منها أن تكون نوراً هادياً ونبراساً مضيئاً للمسلمين في كل مكان حتى يتم الإجهاز عليهم.

هـ - ثم لم يكتف الكاتب بالإفتاء بتحريم الجهاد في مصر، بل انتقل من الشرع إلى التاريخ، ليغلق الباب أمام أي تغيير في مصر، وهنئياً لولي عهد المحروسة الجديد؛ المحروس جمال مبارك، فقد مهد له كاتب الترشيد الطريق، وضمن له انعدام المنغصات. فمصر لا تتغير إلا بغزو خارجي أو انقلاب من داخل السلطة، والسلطة في يد الرئيس وولده، وأمريكا متكفلة بالخارج، ودمتم سالمين.

و- وطالما أن الكاتب قد اقتحم أبجديات الفقه في الحلقة الرابعة، فمنع الجهاد العيني إلا بإذن الوالدين والدائن، ثم اقتحم التاريخ في الحلقة الخامسة، فليسمح لي أن أتطفل على التاريخ أيضاً، فأذكره ببعض الحقائق البسيطة.

إن التغيير أي تغيير لابد له من قبول شعبي إما في ابتدائه أو استدامته أو الاثنين معاً، ثم طليعة للتغيير توفر المقومات وتنتهز الفرص. فحتى الغزو الخارجي إذا ووجه برفض شعبي داخلي حقيقي فسيعاني من حركة تحرير لطرده، أما التغيير من داخل السلطة، إذا أريد له أن يكون تغييراً جذرياً، يمثل تحولاً كبيراً في طبيعة النظام، وليس فقط مجرد تغيير أشخاص مع بقاء نفس طبيعة النظام، فلا بد له من حالة من السخط الشعبي تمهد له وترحب به وتتقبله بعد قيامه.

وهذان العنصران (التأييد أو القبول الشعبي والطليعة المضحية الواعية) لم يذكرهما الكاتب في شروط وجوب الجهاد التي ذكرها.

مع التأكيد أني لا أتبع منهج الكاتب فأعتبرهما شرطين فقهيين لوجوب الجهاد، وإنما أطرحهما كاجتهاد في تصور التغيير.

فشروط وجوب الجهاد التي ذكرها الكاتب هي شروط من يريد أن يجاهد وقد ضمن الأمن والنصر، ولو اتبع الصحابة -رضوان الله عليهم- شروطه ما فتحوا الدنيا من حولهم، فلم يكن لديهم تكافؤ في العدد والعدة في أي معركة بينهم وبين القوى العظمى المحيطة بهم.

ولو اتبع الأفغان شروطه ما حرروا أفغانستان من الغزو الشيوعي، فلم يكن لديهم تكافؤ في العدة البتة، وكان التمويل الكافي متعذراً، ورغم المساعدات التي تدفقت عليهم من الأمريكان، ومن إخوانهم العرب، فقد كان المهاجرون في فقر والمجاهدون في ضنك، لأن المساعدات لم تكن تكفي حاجاتهم، وللفساد المستشري في الحكومة الباكستانية التي ابتلعت نصيب الأسد، ولسوء الإدارة والفساد في عديد من أحزاب المجاهدين، حيث كانت تنفق كثير من الأموال على ما هو أقل أهمية، أو على ما لا يجب الإنفاق عليه، بينما الجبهات والمجاهدون في احتياج شديد، وكل من عايش المجاهدين في تلك الفترة يعلم ذلك جيداً.

ثم لم تكن النساء والذراري مؤمنين، صحيح كان المهاجرون في باكستان آمنين من القصف وحملات الشيوعيين، ولكن المعيشة في مخيمات اللاجئين كانت بائسة، ثم الأهم من ذلك أن أغلبية الشعب الأفغاني -التي لم تاجر- كانت هدفاً للقصف وحملات الشيوعيين وتنكيلهم وانتقامهم.

ولم يكن هناك دعم اجتماعي وإغاثي كاف، لا للمهاجرين في أفغانستان ولا للشعب في داخل أفغانستان.

أما الخدمة الطبية فكانت قاصرة جداً، والكاتب يعلم كيف كان حال مرضى المهاجرين وخاصة من النساء، وكيف كان حال الجرحى الذين يصلون من أفغانستان.

ولم يكن هناك تمايز في الصفوف، فكان المجاهدون والشيوعيون منتشرين في كل مكان، ومن شعب واحد، وقد ازداد اختلاطهم بعد انسحاب الروس وإسناد الأمر للحكومة الشيوعية الأفغانية. ومع كل ذلك انتصر المجاهدون في أفغانستان دون أن يلتزموا بشروط الكاتب.

ولو اتبع المجاهدون في فلسطين مذهبه الفقهي المرضي عنه، لألقوا سلاحهم من عقود، فهم محاصرون من الداخل والخارج، والطائرات والدبابات الأمريكية تتصيدهم كل يوم.

وكذلك لو اتبع صلاح الدين ومحمد علي وعبد الناصر -الذين ذكرهم- شروطه ما انتصروا، ولكن كان لدى كل منهم حركة شعبية رافضة للوضع القائم بالإضافة لقوة أساسية في يده، لا تبلغ أبداً التكافؤ في العدد والعدة مع عدوه.

إن شروط الكاتب -بمنتهى الصراحة- ليست شروطاً للنصر، ولكنها شروط للنظر في خروجه من السجن.

ثم في كل هذه الأحوال -التي ذكرتا- كان هناك عنصر المغامرة واحتمال الخطر.

وهذا يذكرني بقول المتنبي في رثاء صديقه أبي شجاع فاتك:

لَولا المَشَقَةُ سادَ الناسُ كُلُهُمُ الجودُ يُفقِرُ وَالإِقدامُ قَتّالُ

والتعاطف الشعبي يحتاج لثقة من الجماهير في الطليعة المجاهدة بأنها المخلصة لها من أعدائها، وذلك لن يتأتى إلا بأن تقدم الطليعة المجاهدة التضحيات بالإضافة للانتصارات ضد أعداء

الأمة، فحينئذ تثق الأمة بنا، وأعداء الأمة اليوم هم أمريكا وإسرائيل. أما الحكام فلا تقتنع الأمة بعدائهم إلا إذا رأتهم يقتلون أبناءها دفاعاً عن أمريكا أو إسرائيل بالإضافة لفرنسا في المغرب العربي.

هذا هو الطريق الذي نكص عنه الكاتب من خمس عشرة سنة، وحشر في كتابه (الجامع) فقرات لا صلة لها بموضوعه يحرم فيها الناهدين من البر والتقوى لأنهم متعجلون، ويطالب بجهاد علماء الحركات الإسلامية قبل حكامهم لأنهم لم يمتثلوا لحكمه. ثم جاء اليوم ليقول لنا أنه لم ينكص ولكن الناهدين هم الذين تسرعوا، وأن الناهدين هم سبب البلايا والرزايا وخراب البلاد والعباد، وأنه اليوم يرشدهم أن الطريق ليس في الجبال والكهوف ولكنه من هنا؛ من بوابة مباحث أمن الدولة.

أعود لطريق الناهدين فأقول؛ إن الحركة الناهدة اليوم تمكنت من ضرب أمريكا ضربة تاريخية، وتمكنت من استنزافها في العراق وأفغانستان والصومال، وتمكنت من استنزاف اليهود في فلسطين. وكل هذا تم ويتم بتضحيات جبارة، وهذا هو طريق التلاحم مع الأمة وكسب تأييدها، ذلك الطريق الذي تسير فيه الحركة الجهادية بوثبات في الاتجاه الصحيح. والواقع يشهد بذلك.

وذلك هو التلاحم الذي تسعى القوى الخارجية والداخلية المعادية للإسلام في كل ميادين الجهاد لفصمه بأمثال هذه الوثائق.

ثم نأتي لما حدده الكاتب من طرق للتغيير بالغزو الخارجي والانقلاب من داخل السلطة، فاختصاراً للنقاش سنسلم بما يقول بأن مصر لا تتغير إلا بذين الطريقين.

أما عن الانقلاب من داخل السلطة فلماذا لا يسعى المسلمون فيه؟ هل كتب على المسلمين أن يظلوا خارج السلطة؟ وكتب على أهل السلطة أن يبقوا كفاراً؟ وأنا بالطبع أعني شيئاً آخر تماماً غير الذي يسعى إليه أمثال الإخوان المسلمين، فهم يسعون للتحول لعقيدة السلطة، ويسعون لطمأنة السلطة...إلخ.

وهذا الأمر يحتاج لطليعة منظمة مبادرة تقبل التضحية، وتنتهز الفرص، ولا يحتاج أبداً لشروط الأمن والأمان التي يوجبها الكاتب.

وقد ذكرت في أحد الكلمات بعضاً مما دار بيني وبين الأستاذ عادل حسين رحمه الله، وأعيده هنا للفائدة. أقول: نصحني الأستاذ عادل حسين -رحمه الله- بثلاث نصائحَ ضرورية للنصر: الأولى: التأكيدُ على ضرورةِ الوحدةِ بين الناهدين، والثانية: ضرورةُ التركيز على ضربِ المصالحِ اليهوديةِ والأمريكيةِ، والثالثة: ضرورةُ الاستعدادِ للحظةِ انهيارِ النظامِ القائمِ، فهو نظامٌ تعفن إلى درجةٍ تحتمُ انهيارَه، ولكن التحولاتِ التاريخيةَ قد تستغرقُ سنواتٍ عديدةٍ، والرابحُ هو من ينتهزُ فرصةَ التغيير، ويكونُ مستعداً لاستثمارِها. أسألُ الله أن يجزَيه خيرَ الجزاءِ.

وقد نفذ الناهدون بفضل الله اثنتين، وبقيت الثالثة، أرجو أن تتحقق قريباً بإذن الله.

أما الغزو الخارجي، فهو ما بدأت فيه الطليعة الناهدة من إنشاء كيانات مجاهدة في الشيشان وأفغانستان والعراق والجزائر، وهو أمر سيتوسع عبر ملاحم ومعامع طويلة، فهذا هو درس التاريخ، ومن أراد مثالاً، فليدرس الحروب الصليبية عامة، وحركة آل زنكي -رحمهم الله- خاصة وبالذات تجربة نور الدين زنكي رحمه الله، الذي أرسل صلاح الدين -رحمه الله- لمصر ليمهد لفتح القدس.

كلمة أخيرة حول دروس التاريخ؛ من أراد أن يحدث تغييراً أو ينهض بأمته فلابد أن يكون صبوراً، ولا بد أن يتحمل، ولا بد ألا تغيره السجون والمعتقلات، ولا بد ألا يلقي السلاح ويجزع من أول مواجهة. ذلك هو التاريخ لمن أراد أن يستفيد من التاريخ. أرجو ألا أكون قد أطلت على القارئ، ولكن الشجى يبعث الشجى.

ز- ثم برر الكاتب تركه للجهاد بأن الجهاد كان يتم لتغيير الحكم في مصر عبر "قتل المدنيين والأجانب والسياح وتخريب الممتلكات والعدوان على دماء المعصومين وأموالهم بدعوى الجهاد"، وهذا تشويه متعمد للجهاد، سأرد عليه لاحقاً إن شاء الله، عند تعليقي على كلام الكاتب عن عمليات جماعة الجهاد في مصر، وهو تشويه متعمد من الكاتب يتفق تماماً مع ما

توصي به تقارير مركز مقاومة الإرهاب في الجيش الأمريكي، وسأقتبس من أحدها لاحقاً عند الكلام عن أعمال جماعة الجهاد في مصر إن شاء الله.

٩- وفي الختام أذكر القارئ بأن يحصي عدد المرات التي قال فيها الكاتب: يجوز ولا يجوز ويجب ولا يجب، ثم بعد كل ذلك يقول أنا لست مفتياً.

واستأذن القارئ هنا أن أتوقف عن متابعة التعليق على حلقات الوثيقة لأربعة فصول؛ السابع وأخصصه للكلام عن التأشيرة والأمان، والثامن وأخصصه للحديث عن التترس، والتاسع وأخصصه للحديث عن البيات والرمي بما يعم إتلافه، والعاشر وأخصصه للحديث عن المعاملة بالمثل، ثم أواصل التعليق على حلقات الوثيقة وأجعل آخر موضوعات هذا الباب عمليات جماعة الجهاد بمصر إن شاء الله.

١٥/٦/٢